

## فكرة جديدة قديمة

الابتكار التكنولوجي وإذكاء طفرة العملات المجتمعية  
أندرياس أدريانو

وكان جيزيل يعتقد أن ملكية الأرض والنظم النقدية المركزية تعوقان التقدم. وتوقع في كتابه بعنوان «النظام الاقتصادي الطبيعي» أن النقود ستبلى كالجريدة، وتفسد كالبطاطا، وتصدأ كالحديد. واخترع نظاما يدفع لزيادة تداول العملات المحلية، ويقضي بشراء حاملها طوابع شهرية للحفاظ على قيمتها، كانت بمثابة «ضريبة على اكتنازها».

وفي عام ١٩٣١، أي بعد وفاة جيزيل بسنة واحدة، حاولت القرية النمساوية «فورغل» أن تطبق أفكاره. فالاستثمار في البنية التحتية المحلية الممول بالمال الحر أوجد فرص عمل وأعطى دفعة للنشاط الاقتصادي دون إذكاء التضخم. وبرغم الاهتمام الكبير الذي أبدته المجتمعات المحلية الأخرى، أو نتيجة لهذا الاهتمام، والخوف من التشتت السياسي، قام بنك النمسا المركزي بعد عامين بإغلاق ما أطلق عليه معجزة «فورغل».

### نبوءات غريبة

عندما ألف جون مينارد كينز كتابه «النظرية العامة للتشغيل والفائدة والنقود»، وصف جيزيل بأنه «نبي غريب لقي إهمالا بلا مبرر» وأثنى على آلية الطوابع. ومن رواد الاقتصاد الآخرين في ثلاثينات القرن العشرين، إرفينغ فيشر، الذي ألف كتابا عنوانه «العملة الورقية المختومة»، وصف فيه العملات المجتمعية بأنها كانت منشطة اقتصاديا في فترة الكساد الكبير. وبرغم أن فيشر فقد مصداقيته على نطاق واسع بعد أن تنبأ بارتفاع أسعار الأسهم قبل انهيار عام ١٩٢٩ بتسعة أيام، فقد صدرت مئات العملات الورقية المختومة في أنحاء الولايات المتحدة.

وصدرت إحدى هذه العملات في قرية «تينينو» في ولاية واشنطن، التي أصدرت دولارات محلية طُبِعَت على بطاقات مصنوعة من الخشب. وفي ظل الجائحة عام ٢٠٢٠، عندما دعت الحاجة إلى استخدام برنامج للتحويل النقدي، بدلا من توزيع بطاقات الخصم الفوري أو الشيكات، قامت المدينة بسك شرائح خشبية جديدة بنفس طريقة الطباعة التي كانت عليها منذ تسعين عاما.

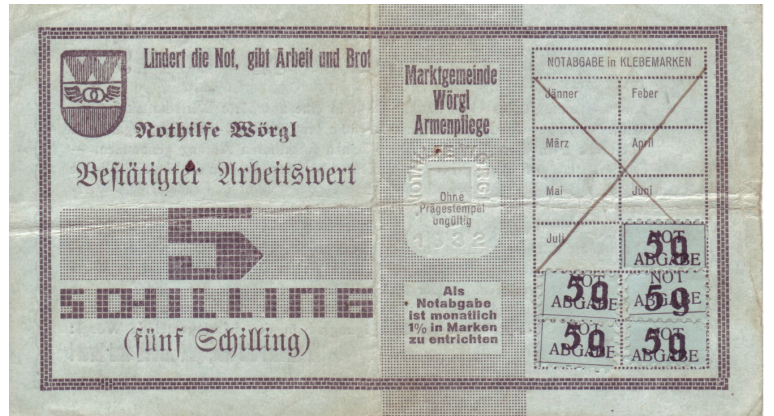
وكان أكبر بديل للعملة على الإطلاق هو فرنك «وير» (WIR) الذي أطلقته سويسرا في عام ١٩٣٤، ولا يزال متداولًا. وبنك WIR (اختصار «الدورة الاقتصادية»، وكلمة «we» الألمانية)، اتحاد تعاوني ائتماني، يقدم أعضاؤه قروضا لبعضهم بعضا، بينما العملة مضمونة بعقارات. ويبلغ حجم حركة التعامل فيه حوالي ٧ مليارات دولار.

**قبل قرن** من خروج ساتوشي ناكاموتو علينا بابتكار بيتكوين، كان هناك شخص يدعى جوهان سيلفيو جيزيل. كان جيزيل اقتصاديا ألمانيا هاويا مغمورا، تحفزه روح تحررية مماثلة: أن يبتكر عملات مستقلة عن الحكومات والبنوك المركزية الوطنية. وكان يعتقد أن المجتمعات في مقدورها أن تنمو بوتيرة أسرع عندما تستخدم أموالا تنعش النشاط المحلي ولا تنفق في مكان آخر.

وبرغم ظهور مئات العملات المجتمعية (أو «العملات الورقية المحلية»)، فقد ظلت دائما مجرد مسألة فضول اقتصادي إلى حد كبير. والآن، أصبح مفهوم الأمس يسخر تكنولوجيا اليوم، مثل تقنية بلوك تشين والمدفوعات عبر الهواتف المحمولة، مما ينطوي على احتمالات ابتكار أدوات تنموية جديدة للغد.

### معجزة اقتصادية

وُلِدَ جيزيل في عام ١٨٦٢، وعاش حياة متناقضة نوعا ما بينما أخذ يتنقل بين ألمانيا وسويسرا والأرجنتين. وكان تاجرا وناشطا اجتماعيا، ورائد أعمال ومؤمنا بالفوضى، وصف نفسه بأنه «مواطن عالمي»، كما كان منشقا. وفي عام ١٨٩١، بينما كان يكابد في ظل واحدة من الأزمات الاقتصادية المتكررة في الأرجنتين، بدأ الاقتصادي الذي علم نفسه بنفسه بتطوير عقيدة «Freiwirtschaft» التي اعتنقها، وتعني بالألمانية الاقتصاد الحر. وكانت هذه العقيدة تقوم على ثلاث ركائز: المال الحر، والتجارة الحرة، والأرض الحرة.



ورقة نقدية بقيمة ٥ شيلينغ أصدرتها مدينة «فورغل» النمساوية في ثلاثينات القرن العشرين، تحمل الطوابع الشهرية اللازمة للحفاظ على قيمتها، والتي ساعدت في التحفيز على تداولها وكانت بمثابة «ضريبة على اكتنازها».



## ازدهار المحمول

مثلما ازدهرت العملات المجتمعية خلال فترة الكساد الكبير، فإن شبهاتها الرقمية أخذت في الانتشار وسط الركود بفعل جائحة كوفيد-١٩. ومع تفشي الفيروس، تمكنت مدينة «ماريكا» البرازيلية من مضاعفة برنامج تكميلي لدخل المقيمين فيها، استخدمت فيه عملة يُطلق عليها «مومبوكاس» (وتحمل اسم نهر محلي)، قبل وصول أي دعم فيدرالي بشهرين. وبينما البطاقات لا تزال موجودة، تجرى معظم المعاملات من خلال الهواتف المحمولة.

وأجريت تجارب أكثر تعقيدا تجمع بين المدفوعات عبر الهواتف المحمولة وتقنية بلوك تشين، وهي التكنولوجيا الكامنة وراء معظم العملات المُشفَّرة، حيث تقوم كل أجهزة الكمبيوتر المربوطة بشبكة معينة بقيد كل المعاملات على الفور، فتعد دفترا لامركزيا غير قابل للتغيير.

وسوق «Good4Trust» في تركيا، وهو متاح عبر الإنترنت للمنتجين والمستهلكين ذوي الوعي الاجتماعي والبيئي، يعد لإطلاق عملة مجتمعية باستخدام تقنية بلوكتشين التي تشغلها شركة «شيلو»، إحدى شركات سيلكون فالي.

وأصدر حي «بريكستون» في مدينة لندن جنيتها خاصا به في ٢٠٠٨ ويطبغ عليه صور مشاهير سكان الحي الأصليين والمقيمين فيه، ومنهك ديفيد بوي نجم البوب الشهير. وفي يناير ٢٠٢١، أعلن الحي إطلاق نسخة رقمية باستخدام تقنية «بلوك تشين» التي تفعّلها شركة «ألفوراند» السنغافورية.

وفي كينيا، تستخدم عملية «صارافو» (أي العملة بالسوايلية) كذلك تقنية «بلوك تشين». واستخدم هذه العملة ٤١ ألف نسمة يسكنون ٦٠ قرية، أنفقوا في عام ٢٠٢٠ ما يعادل ٢,٥ مليون دولار في أكثر من ٣٣٥ ألف معاملة، كلها عبر الهواتف المحمولة. وأخبر ويل روديك، الذي ابتكر هذه العملة، مجلة التمويل والتنمية أن «هذه المنصة تسمح لمجموعة من المزارعين بالاتحاد معا واستحداث عملتهم

الخاصة. ووضع نظام اقتصادي صلب من أسفل إلى أعلى». وأضاف الفيزيائي الأمريكي الذي تحول إلى اقتصادي ورائد أعمال اجتماعي، والذي أطلق أولا عملة مجتمعية ورقية في كينيا عام ٢٠١٠ قوله «العملة بنية تحتية حيوية».

ويسمح قيد كل المعاملات في تقنية «بلوك تشين» بجمع البيانات وتقييم المبادرات الاجتماعية في الوقت الحقيقي، ويستخدمها الصليب الأحمر الدنماركي، أحد ممولي المشروع، في دراسة تأثير برامجه. ويذكر آدم بورنشتاين، رئيس فريق التمويل الابتكاري وتغيير النظم «للمرة الأولى، يمكن أن نشاهد تأثير أحد البرامج في الوقت الحقيقي». ثم

أضاف قوله «ويمكننا تصحيح المسار خلال أيام بدلا من انتظار المسوح التي تجرى بعد الحدث باثني عشر شهرا». ويمكن كذلك استخدام البيانات في إعداد نظام الإنذار المبكر للكوارث مما يمنح المؤسسة مزيدا من المرونة في توزيع مواردها. ويضيف بورنشتاين «العالم معقد وديناميكي، بينما سياسات التمويل والمشتريات الإنسانية غير مرنة في الأصل».

وكان تعزيز المجتمعات ودعم الأعمال المحلية ولا يزالان هما أساس استخدام العملات المحلية. لكن التجارب التي تسمح بها يمكن أن تكون لها انعكاسات أوسع، ربما على المستوى الوطني. ويذكر إزيكيل كوبيك، رئيس وحدة شراكة القطاع الرسمي في شركة شيلو، في حديثه مع مجلة التمويل والتنمية أن «هناك قدرا كبيرا من التركيز على العملات الرقمية الصادرة عن البنوك المركزية». ثم يضيف قائلا «العملات المحلية يمكن أن تمثل مضمار اختبار لهذه المبادرات». وفي ظل التكنولوجيا الحديثة والعمل الجاد، ورؤية رواد الأعمال والاقتصاديين في المجتمع، يمكن أن تظهر عملات بديلة وتأخذ طريقها مع التيار. <sup>FD</sup>

**أندرياس أدريانو** ضمن فريق العاملين في مجلة «التمويل والتنمية».

أحد سكان القرى في كينيا يجري عملية شراء مستخدما عملة يطلق عليها «صارافو». فاستخدمت هذه العملة المجتمعية الرقمية في ستين قرية لشراء ما يعادل ٢,٥ مليون دولار العام الماضي، كلها عبر الهواتف المحمولة.